

كبير أوحده» وشوقي عندما كتب للأطفال في بعثته التعليمية كان في بواكير حياته، ولم يكن شاعرا كبيرا، لاسنا ولا عطاء، ولم يكن شاعرا أوحده، لأن محمد عثمان جلال كان في ذلك الحين أكبر منه سنا، وأغزر عطاء، وكان هناك شاعر العربية العظيم البارودي، فحين كان شوقي في الرابعة عشرة من عمره، عام ١٨٨٢ كان البارودي واحدا من أهم زعماء الثورة العربية، أما غمّزُ المسؤولين عن تقرير شعر شوقي على المدارس لأن شوقي كان قد ملأ الساحة، وأصبح أمير الشعراء، فلعلهم يختلفون أيضا مع الشاعر أحمد سويلم في تقييمهم الفني لشعر عثمان جلال وشوقي ولعلهم كانوا كالكثيرين من أجيالهم من الأدباء والدارسين يعتلون بشعر شوقي ..

ولنعد إلى التساؤل الموضوعي المثير: لماذا تجاهل شوقي سبق عثمان جلال إلى ترجمة فايولات لافونتين ولماذا لم يتأثر شوقي بكليلة ودمنة مباشرة .. والإجابة عن التساؤل الأخير بيسيرة؛ فليس من الضروري أن يقرأ كل شاعر عربي في بواكير حياته جميع آثار التراث العربي، ذلك شيء غير معقول؛ ومن الممكن أن يكون شوقي - حتى ذلك الحين - لم يطلع على «كليلة ودمنة» العربي، أو اطلع اطلاعا عابرا لم يثر خياله الشعري، ولم يوقظ حاسته الملهمه؛ أما حين اطلع على حكايات لافونتين وقد منحتها العقلية الغربية كما لا في التشكيل الفني، وجعلت من كل حكاية لوحة آسرة، زاحرة بعوامل التشويق؛ فقد أحس بالتأثير النفسى العميق لتلك الحكايات في صيغها في الشعر الفرنسى، وأحس بها أيضا فيما لو تجلّت في شعر عربي من إبداع شاعر صناع يملك الموهبة الرفيعة، ووسائل الأداء الفني البديع ..

فإن لافونتين - كما يقول د. محمد غنيمي هلال - «بلغ بهذا الجنس الأدبي أقصى ما قدر له من كمال فني؛ فقد راعى الأسس الفنية العامة التي لاحظها النابغون في ذلك الجنس الأدبي من سابقه، ثم استكمل هذه القواعد الفنية، وبرع فيها حتى صار مثالا لمن حاكوه في الآداب جميعا».

كان لافونتين يستند إلى تراث عريق من موضوعية الفن، والقدرة على تشكيل لوحة فنية متكاملة متآزرة الأجزاء، وليس تراثا تجزييا في جوهره، لا يعرف النسب الدقيقة بين جزئيات العمل الفني، بل تحكمه غريزة التشتت الفكرى،